🕌دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَة

ذمُّ الجاهلية في القرآن والسنة

عباد الله،

لقد أخرجنا الله من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن الضلال إلى الهدى، فلا يليق بمسلم أن يعود إلى شيءٍ من موروث الجاهلية بعد أن أكرمه الله بالإيمان والقرآن.

وقد ورد لفظ الجاهلية في أربعة مواضع من القرآن الكريم، كل موضع منها يذم وجهًا من وجوه الضلال والانحراف عن نور الوحي

وثبت في الصحيحين عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ! وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ!

فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ:

»مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟«

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ،

فَقَالَ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ

روي الترمذي وأبو داود عن ابي هريرة قال النبي ﷺ في خطبة الوداع:

»أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ

📚رواه أحمد والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة فقال:

»يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وتعاظمَها بآبائها، الناسُ من آدم، وآدم من ترابٍ، لا فضل لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا لأعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى«

🌟ذمّ الجاهلية في القرآن

إنَّ الله تعالى أنقذ هذه الأمة من ظلمات الجاهلية بنور الوحي، فحرَّم عليها أن تعود إلى ما كانت عليه من ضلالٍ وجهلٍ وكبرٍ وعصبية، وقد ذَكَرَ سبحانه «الجاهلية» في أربعة مواضع من كتابه، كلُّ موضعٍ منها يفضح وجهًا من وجوه الانحراف عن هدي الإيمان.

🔹 فالجاهلية الأولى في العقيدة وسوء الظن بالله، قال تعالى:

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: 154]

وهي ظنون المنافقين الذين لا يثقون بوعد الله ولا بنصره، فجهلوا بربهم وجهلوا بقدره.

🔹 والجاهلية الثانية في الحكم والتشريع، قال تعالى:

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]

فمن أعرض عن شرع الله، ورضي بأهواء البشر، فقد آثر حكم الجاهلية على حكم رب العالمين.

🔹 والجاهلية الثالثة في الأخلاق والسلوك، قال تعالى:

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: 33]

فنهى نساء المؤمنين عن التبرج والتكسر والتبرّؤ من الحياء، وهي من علامات الجاهلية في المظهر والخلق.

🔹 والجاهلية الرابعة في العصبية والحميّة، قال تعالى:

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: 26]

فهي الغضبة للقبيلة أو الحزب أو الوطن على حساب الدين والحق.

فهذه أربعة أوجهٍ للجاهلية:

جهلٌ بالله، وجهلٌ بحكمه، وجهلٌ بأخلاقه، وجهلٌ بحق إخوانك من المؤمنين.

ومن تأملها علم أنَّ الجاهلية ليست زمنًا مضى، بل هي وصفٌ يعود كلما بَعُد الناس عن الوحي وضلّوا عن منهج النبوة.

ولهذا قال النبي ﷺ في التحذير منها:

»دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَة« — أي دعوى الجاهلية العصبية—

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

»إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفخرَها بالآباء.«

فيا عباد الله، من أراد النجاة من رائحة الجاهلية المنتنة، فليلزم كتاب الله وسنة نبيه، وليعتصم بحبل الإيمان والتقوى، فإنّ أكرم الناس عند الله أتقاهم، لا أنسبهم ولا أغناهم

وهل يليق بمن خرج من مجري البول مرتين أن يتكبر أو يفتخر بحسبه ونسبه وأصله طين ؟

أصله نطفة مذرة وأخره عذرة قذرة

فلا ميزان إلا بالتقوي والعمل الصالح

)إن أكرمكم عند الله أتقاكم(

🌟 أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّة

ومن صور الجاهلية التي حاربها الإسلامُ ما كان عليه العرب قبل البعثة من التفاخر بالأنساب، وازدراء من دونهم في اللون أو الأصل أو القبيلة، فجاء الإسلام ليهدم هذا البنيان المتعفن من أساسه، ويقيم مكانه صرح الأخوة والإيمان.

روى البخاري ومسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سابَّ رجلًا فعيره بأمه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له:

»يا أبا ذر، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّة.«

فما أعظمها كلمة، هزت قلب أبي ذر فكانت له توبةً خالدة، فما عاد يُرى إلا وهو يلبس غلامه مثل ما يلبس هو، تواضعًا لله وخضوعًا لشرعه.

أيها الإخوة،

إن الإسلام لا يرضى لمؤمنٍ أن يجرح أخاه بكلمة تُذكِّره بأصله أو بلونه أو نسبه، لأن الكرامة الحقيقية في التقوى لا في النسب، كما قال الله تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

فالجاهلية ليست فقط عبادة الأصنام، بل هي أيضًا كبرٌ وتعالٍ، واحتقارٌ للناس، وتعصُّبٌ للقبيلة أو اللون أو الحزب.

ومن قال اليوم: "نحن أفضل لأننا من قبيلة كذا" أو "من بلد كذا"، فقد نفخ في أنفه من رائحة الجاهلية المنتنة التي قال عنها النبي ﷺ:

»دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَة.«

فاتقوا الله عباد الله، واحفظوا ألسنتكم من كلمات الجاهلية،

وارفعوا الناس بإيمانهم وأعمالهم، لا بأنسابهم وأشكالهم،

فإن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم

صابر الدرينى

🔴 الجاهلية هى كل ما يخالف الإسلام فاتركوها فإنها منتنة 📕

✍️جاء الإسلام لينشر العدل والرحمة ويقضى على الظلم والجاهلية ويسوى بين السادة والعبيد ،فلا فضل لعربى على أعجمى ولا أبيض على أسود ولا غنى على فقير إلا بالتقوى والعمل الصالح وكلمة الجاهلية وردت فى القرآن الكريم أربع مرات فى أربع مواضع كل موضع له وصفه وحكمه فتارة تكون كفراً وشركاً ، وتارة تكون معصية محرمة ، وتارة تكون كبيرة من الكبائر

🟥 الجاهلية غالب إطلاقها في الكتاب والسنة يُعنى بها الحال، وقد تطلق ويُعنى بها صاحب الحال.

✍️فمن الأول؛ وهو أن تطلق ويعنى بها الحال، يعني الصفة التي هي راجعة إلى نفي العلم والإغراق في الجهل بما أنزل الله جل وعلا على رسوله، هذه الجاهلية التي هي الحال والصفة منها قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي ذر حين عيّر رجلا أسود وهو بلال – بالراجح- بأمه، قال عليه الصلاة والسلام «أعَيّرتَهُ بأمّهِ؟ إنّكَ امرُؤٌ فيكَ جاهِليّة»، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام «ثنتان من أمتي من أمر الجاهلية»، وكذلك قول عائشة "كان نكاح الناس في الجاهلية على أربعة أنحاء" ونحو ذلك من الأحاديث التي فيها ذكر الجاهلية، ويدل لذلك قول الله جل وعلا (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[المائدة:50]، فإنه في هذه النصوص يعنى بالجاهلية الحال والصفة.

وقد يراد بها ذو الحال، فيقال فلان جاهلي، كما يقال امرؤ القيس شاعر جاهلي، يريدون بذلك أنه هو الجاهلي لعيشه في تلك الفترة التي هي الجاهلية المطلقة.

والجاهلية تقسم باعتبارات:

فتارة تنقسم إلى قسمين:

وهي الجاهلية المطلقة.

والجاهلية المقيدة.

وتارة تقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

جاهلية في المكان.

جاهلية في الزمان.

جاهلية في الأشخاص.

فالقسمة الأولى وهي الجاهلية المطلقة والمقيدة:

فنعني بالمطلقة: الكاملة من جميع الوجوه بأحد الاعتبارات الثلاث.

والمقيدة: يعني المقيدة بوجه من الوجوه، إما مقيدة بمكان، أو بزمان، أو بشخص، أو ببعض الصفات.

فالجاهلية في المكان تكون مطلقة ومقيدة:

فالمطلقة في بلاد الكفار؛ دار الحرب، بلاد الكفار، هذه يقال لها أمكنة جاهلية، والمكان جاهلي؛ لأجل أنها دار كفار.

وقد يكون المكان فيه جاهلية مقيدة ببعض الأمور كما هو في بلاد المسلمين، فإنه لا يزال فيهم بعض خصال الجاهلية فيكون فيهم بعض الجاهلية، تكون مقيدة ببعض الأشياء، أو مقيدة ببعض الأمكنة دون بعض، تقول البلد الفلاني من بلاد المسلمين فيه جاهلية، أو بلد أصبح جاهليا إذا رجع أهله وارتدوا عن الإسلام إلى الشرك.

وجاهلية الزمان أيضا مطلقة ومقيدة:

فالجاهلية في الزمان المطلقة هي ما كان قبل مبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت جاهلية مطلقة في الزمان؛ يعني كل ما كان قبل زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - -وَحَدُّهُ بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم -- يقال لها جاهلية بإطلاق.

والجاهلية المقيدة بالزمان هذه هي التي تكون في بعض ظهور خصال الجاهلية في وقت دون وقت، لكنها جاهلية مقيدة وليست مطلقة؛ يعني مقيدة بوقت ظهرت فيه خصال الجاهلية، فتكون مقيدة بالوقت.

📕 فلا يصح إطلاق لفظ الجاهلية العامة المطلقة حتى لا يفهم منها تكفير الناس والمجتمعات المسلمة ،أو وصفها بأنها مجتمعات جاهلية بمفهوم أهل الغلو فى التكفير فيكفرون الناس والمجتمع بالعموم أو يتوقفون فيه ،وهذا خطأ ، لأنه بعد بعثة رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - انقضت الجاهلية المطلقة، ولا يزال في أمته من ينافح عن هذا الدين ويرفع رايته، فليس ثم جاهلية منسوبة إلى زمنٍ ، وإنما تكون منسوبة إلى وقت من الأوقات فيما إذا ظهرت بعض الصفات ثم يجاهدها ويظهر عليها أهل الحق بالإنكار فلا تصبح جاهليةً يعني الزمن.. لأن هذا إطلاق للزمن بكامله، والنبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر بأنه «لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِه «عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرّهُمْ من خالفهم ولا مَن خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وهم على ذلك» هؤلاء يبينون وينصحون.

القسم الثالث جاهلية في الأشخاص وهي أيضا مطلقة ومقيدة:

فالمطلقة في الكافر. والمقيدة في شخص دون شخص، أو في شخص في بعض حاله دون بعض، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي ذر «إِنّكَ امرُؤٌ فيكَ جاهِلِيّة»؛ يعني بعض خصال الجاهلية.

) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ(

إذاً هما حكمان حكم الله وحكم الجاهلية حكم الله وحكم الطاغوت والجاهلية هى كل ما يخالف الاسلام والجاهلية المطلقة هى قبل الاسلام زمن الكفر والشرك العام وما بعد الاسلام جاهلية مقيدة فى الزمان والمكان والأشخاص وهى بحسبها أما جاهلية كبرى مكفرة أو جاهلية دون الشرك الأكبر فمن الجاهلية ما هو كفر كقوله-تعالى-: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} ، وقوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}.

ومن الجاهلية ما هو معصية، وهي ما تكون بترك واجب أو فعل محرم دون الكفر، وهذه لا يكفر صاحبها.ومن هذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "إنك امرؤ فيك جاهلية" وكذا الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والنياحة على الميت.

ومن جاهلية الدعاة الجدد وغيبة الوعى عندهم ألا يعتبرون بالفرق بين أن تفرح لوصول الأخف ضرراً على المسلمين مع اعتقاد فساده وفساد طريقة اختياره ,وبين أن تتعامى عن جاهليته ومفارقة طريقة حكمه للإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هذه غيبة وعى وجاهلية جديدة تسمى جاهلية الدعاة الجدد

فالجاهليات المذكورة في القرآن أربعة :

ظن الجاهلية :جاهلية عقيدة وظن سوء بالله تعالى من نسبة الولد والزوجة والفقر.

حكم الجاهلية :وجاهلية حُكْم وتشريع.

تبرج الجاهلية : وجاهلية تبرُّج وسلوك .

حمية الجاهلية :وجاهلية حميَّة واندفاع!

الجاهلية تعني الخفة والطيش، والتفلّت والتحلل، واتباع الهوى، وعدم الاتزان والانضباط، والقيام بتصرفات وسلوكيات باطلة، وعدم الالتزام بحكم الله وشرعه.

ويمكنك أن تقول: "الجاهلية" حالة نفسية سيئة، تصيب صاحبها، فيرفض الالتزام بحكم الله، والالتزام بشرعه، ويتمرد عليه، ويتّبع الباطل، ويعيش حياته على هواه، بما لا يتفق مع إنسانيته وكرامته .

ونؤكد على أن "الجاهلية" ليست مقابِلة للعلم والمعرفة والثقافة، بمعنى أنه لا يوصف بها إلا الإنسان الجاهل، الذي لا علم ولا معرفة عنده، أو المجتمع المتخلف البدائي، الخالي من الاختراعات والصناعات، فهذه الحالة توصف بالجهل وليس بالجاهلية؛ فيقال: هذا إنسان جاهل. أي: غير عالم. وهذا مجتمع جاهل. أي: مجتمع بدائي متخلف، لا علم عنده ولا صناعة.

أما الجاهلية فإنها مقابِلة للهدى والإيمان، والاستقامة والتقوى، والاتزان والانضباط، والجدية والموضوعية، فيوصف بها من فقد هذه الصفات الإيجابية، فرداً كان أو مجتمعاً، وقد توجد مع العلم والمعرفة، وقد تكون مع الصناعة والتكنولوجيا، وقد تتحقق عند إنسان حمل أرقى الشهادات العلمية، وعند مجتمع بلغ الذروة في تكنولوجيا الصناعة والاختراع، حتى وصل إلى القمر والمريخ.

وبمعنى آخر: الجاهلي هو : الكافر، وهو المذنب العاصي، وهو الخاضع لغير الله، وهو المتبع لهواه، وهو الذي يعيش حياته بعيداً عن شرع الله، والمسرف على نفسه بالشهوات والملذات المحرمة.

والمجتمع الجاهلي هو الذي لا يخضع لحكم الله وشرعه، ولا ينظم حياته ومناهجه ومؤسساته على أساس منهج الله. وقد يكون هذا المجتمع متقدماً في الماديات والاختراعات

وقد يكون عند المسلم بعض الممارسات والتصرفات والنظرات الجاهلية، وهي تلك التي تختلف مع الإسلام، مع أنه ملتزم بالإسلام في معظم حياته، ودليل هذا ما حصل من أبي ذر الغفاري ، فقد كان من أصدق الصحابة إيماناً وكلاماً، وشهد له رسول الله بذلك، حيث قال: "ما أقلَّت الغبراء، ولا أظلّت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر". ومع ذلك أخطأ في حق أخيه بلال الحبشي . قال: حصل بيني وبين بلال كلام، فعيّرته بأمه، وقلت له: يا ابن السوداء؛ فشكاني إلى رسول الله ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : " أعيّرته

بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية! ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى". لم يكن أبو ذر كافراً، بل كان من أصدق الصحابة إيماناً، ومع هذا أخبره رسول الله أن فيه جاهلية، ولم يقل له: أنت جاهلي .

وهذا معناه أن الجاهلية ليست كفراً دائماً، وكل من أذنب وعصى ففيه جاهلية بمقدار ذنبه ومعصيته، مع أنه مسلم صالح؛ فكل كفر جاهلية، وليست كل جاهلية كفراً، وكل كافر جاهلي، وليس كل جاهلي كافراً.

حكم الجاهلية : وكل حكم غير حكم الله باطل، وكل شرع يتعارض مع شرع الله منكر مردود ظالم قبيح. والمجتمع الإسلامي لا يقرّ أي حكم جاهلي؛ لأنه ملتزم بحكم الله. والمسلمون الصالحون لا يتحاكمون إلى حكم يتعارض مع حكم الله لأنه حكم أهل الجاهلية، ويستحيل على مؤمن أن يساوي بين حكم الله وحكم أهل الجاهلية، كما أنه يستحيل على مؤمن أن يترك حكم الله، ويطلب حكم أهل الجاهلية، وأن يظن أن حكم أهل الجاهلية أفضل أو أعدل أو أنسب من حكم الله، ويستحيل على الدولة المسلمة أن تقرر في قوانينها حكماً جاهليّاً، وتشريعاً جاهليّاً، متعارضاً مع حكم الله.

الجاهلية في هذه الآية جاهلية حكم وتشريع، وجاهلية قانون ونظام. وتقرر بصراحة أن الحكم نوعان لا ثالث لهما: حكم الله في مقابل حكم الجاهلية، ومن لم يشرع أو يطبق حكم الله، فقد شرع أو طبق الحكم الجاهلي لا محالة. وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

) العلمانية حكم الجاهلية وعبودية للهوى)

لقد جعل الله طريقين للحكم لا ثالث لهما: حكم الله أو حكم الجاهلية، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

وجاهلية الحكم لا تختص بزمان بعينه، ولكنها وضع تنظيمي يأبى التحاكم إلى ما أنزل الله، وهذا الوضع قد وجد بالأمس، ويوجد اليوم، وسيوجد غدًا، وحيثما وجد فهو حكم الجاهلية وإن توارى خلف لافتات من ادعاء التقدمية والاستنارة والتحضر.

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ﴾ [القصص: 50] .

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18].

فلا مقابل لشريعة الله وما جاء به رسول الله × إلا أهواء الذين لا يعلمون، ولا توجد منطقة وسطى بينهما، ومتى خرج العبد من شريعة الله فقد دخل في عبادة الهوى من دون الله.

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: 43، 44].

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 23].

والإنسان في هذه الحياة على مفترق طريقين لا ثالث لهما، فإما أن يختار العبودية لله، وإما أن يرفض هذه العبودية فيقع لا محالة في عبودية لغير الله، والعلمانية بما تقوم عليه من رفض الشريعة، تعبيد البشر إلى غير ما أنزل الله، فهي ترجع بهم إلى الجاهلية وتدخلهم في عبادة الهوى من دون الله.

ظن الجاهلية (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه) (أن عند ظن عبدى بى فليظن عبدى بى ما شاء)

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا الظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك، هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وقال الطبرى رحمه الله (هذه الآية الكريمة تتحدث عن موقف المنافقين في غزوة أحد حيث أنزل الله النعاس أمنة للمؤمنين، أما المنافقين فقد أهمتهم أنفسهم. يقول ابن جرير "قوله: (قد أهمتهم أنفسهم) يقول: هم المنافقون لا هم لهم غير أنفسهم، فهم من حذر

القتل على أنفسهم وخوف المنية عليها، في شغل قد طار عن أعينهم الكرى، يظنون بالله الظنون الكاذبة ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكاً في أمر الله وتكذيباً لنبيه ، ومَحْسَبة منهم أن الله خاذل نبيه ومعل عليه أهل الكفر به... وقوله: (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) يقول: يخفي يا محمد هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك صفتهم، في أنفسهم من الكفر والشك في الله ما لا يبدون لك، ثم أظهر نبيه على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم، والحسرة التي أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد، فقال مخبراً عن قيلهم الكفر وإعلانهم النفاق بينهم: (يقولون لو كان لنا من الأمر من شيء ما قُتلنا هاهنا) يعني بذلك أن هؤلاء المنافقين يقولون: لو كان الخروج إلى حرب من خرجنا لحربه من المشركين إلينا، ما خرجنا إليهم ولا قتل منا أحد في الموضع الذي قتلوا فيه بأحد")

حمية الجاهلية تتحدث الآية عن ما فعلته قريش بالمسلمين، عندما منعت الرسول وأصحابه من الدخول إلى مكة معتمرين، وأوقفتهم في سهل "الحديبية"، وأدت المفاوضات في النهاية إلى عقد صلح "الحديبية" في نهاية السنة السادسة من الهجرة.

لماذا منع الكفار دخول المسلمين الحرم معتمرين مع أنه مفتوح لكل من أتاه حاجّاً أو معتمراً؟! لماذا يُمنع منه المسلمون مع أنهم أهله الأصلاء؟! إن الذي دفعهم إلى هذا هو "حمية الجاهلية."

والحمية هي الأنفة والإباء، مأخوذة من "الحمي"، وهو القوة المحركة التي تحمي وتسخن، وتولد الحرارة المعنوية. هذه الحمية الغضبية هي التي حركتهم وسخّنتهم، ودفعتهم إلى أن يخالفوا المنطق والعقل، ويمنعوا المسلمين من دخول الحرم، بدون ذنب ارتكبوه، إلا أنهم مسلمون! ومنَّ الله على رسوله والمؤمنين، فأنزل السكينة عليهم، وملأت عليهم حياتهم، ودفعتهم إلى حسن التصرف، ومقابلة حمية قريش الجاهلية بتلك السكينة الإيمانية.

"حمية أهل الجاهلية". فالجاهلية هنا جاهلية انتماء سياسي وقومي، وتصرف قيادي؛ لأنها صفة للحالة العامة التي كان عليها زعماء قريش، عندما أصدروا قرارهم القيادي السيادي بمنع المسلمين من أداء العمرة. والجاهلية حالة يكون عليها الزعماء والمسؤولون، عندما يتخذون قراراً جائراً ظالماً خاطئاً، لأن الذي دفعهم إلى هذا القرار "حمية الجاهلية."

تبرج الجاهلية والتبرج: إظهار المرأة لعورتها، عند خروجها من بيتها، بأن تسير في الشارع أو تجلس في الأماكن العامة وهي تكشف شعرها، أو تضع المساحيق على وجهها، أو تكشف عن عنقها أو عضدها أو صدرها أو رجلها أو بطنها أوسرّتها...

واعتبرت الآية خروج النساء متبرجات كاشفات لعوراتهن من فعل النساء في الجاهلية الأولى، ودلَّ هذا على أن خروج النساء متبرجات سلوك جاهلي بدائي، لا تفعله المرأة الجادة الواعية العفيفة. والجديد في الآية أنها وصفت الجاهلية بالجاهلية الأولى، والمراد بالأولى الأولية الزمنية، أي: الجاهلية السابقة، التي كانت عليها النساء في القرون القديمة، حيث كانت تخرج كاشفة عن مفاتنها.

ووصف الجاهلية بالأولى يدل على أن هناك جاهلية ثانية وثالثة ورابعة، تمر بها النساء في أزيائهن وملابسهن، وفي تبرجهن وتعرّيهن. كما أن وصف جاهلية التبرج والأزياء بالأولى يدل على أن التبرج والتعري ليس فنّاً ولا تقدماً، ولا حضارة ولا "شياكة"، وإنما هو "رجعية" وانحطاط، وتأخّر وتخلّف، لأنه عودة بالمرأة إلى عصور التخلف والبدائية والظلام!

إن المرأة التي ترضى لنفسها أن تقدم جسدها للرجال متخلفة، والتي تكشف أمامهم من جسمها أكثر مما تستر رجعية، تعود إلى البدائية الأولى للبشرية، ولا يتفق هذا مع كرامة المرأة وعفتها وطهارتها. وإن التبرج والتعري سلوك جاهلي طائش، وإن كل امرأة تقوم بهذا التصرف إنما هي جاهلية رجعية متخلفة، أما العفيفة المتسترة فهي المتحضرة المتمدنة الواعية المتزنة.(من كتاب (المسائل والفوائد من شرح مقدمة التوحيد لصابر الدرينى رحمه الله)